بسم الله الرحمن الرحيم

لا تغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني. قال "لا تغضب" ، فردّدَ مراراً ، قال "لا تغضب" . (البخاري والترمذي) .. قال ابن رجب (في جامع العلوم) : فهذا يدل على أن الغضب جِماع الشرّ ، وأن التحرّز منه جماع الخير ، ولعل هذا الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو الدرداء. (انتهى) ، وقيل أن الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم هو "جارية بن قدامة" عم "الأحنف بن قيس" ، ولكن قال بعض العلماء بأن "جارية" تابعي لم يُدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم ..

هذا الحديث من جوامع الكلم ، وفيه فوائد كثيرة على صغر حجمه ، وقد استخرج الشيخ المحدّث سليمان العلوان – حفظه الله – أكثر من خمسين فائدة من هذا الحديث نقلها بعض تلاميذه من درس له ، وسيأتي ذكر بعض فوائده في ثنايا الكلام ..

اختلف العلماء في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تغضب" : هل هو الإبتعاد عن مسببات الغضب ، أم أن يروض الإنسان نفسه حتى لا يغضب ، أم هو اجتناب ما يأمر به الغضب ، أم ترك الغضب كله ، أم أن هذه النصيحة جاءت خاصة بسائلها ومن كان مثله ممن هو سريع الغضب فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يغضب بسرعة ، وقيل غير هذا !!

لعل أكثر هذه الأمور داخلة في معنى هذا الحديث ، قال الشيخ "العلوان" في فوائده : "المقصود من ترك الغضب هو اجتناب أسبابه والأمور المفضية إليه" ، وقال "فيه قاعدة سد الذرائع وأن الوقاية خير من العلاج" ..

قال ابن رجب (في جامع العلوم) : قوله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه "لا تغضب" يحتمل أمرين :

أحدهما: أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق : من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع والاحتمال وكف الأذى والصفح والعفو وكظم الغيظ والطلاقة والبشر ونحو ذلك

من الأخلاق الجميلة ، فإن النفس إذا تخلّقت بهذه الأخلاق ، وصارت لها عادة ، أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه ..

والثاني: أن يكون المراد : لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك ، بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه ، والعمل بما يأمر به ، فإن الغضب إذا ملك شيئا من بني آدم كان الآمر والناهي له ، ولهذا المعنى قال الله عز وجل {ولما سكت عن موسى الغضب} *(الأعراف : 154)* ، وإذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه على ذلك : اندفع عنه شر الغضب ، وربما سكن غضبه وذهب عاجلاً وكأنه حينئذ لم يغضب ، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة في القرآن بقوله عز وجل {وإذا ما غضبوا هم يغفرون} *(الشورى : 37)* ، وبقوله عز وجل {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين} *(آل عمران : 134)*.. *(انتهى)* .

وفي الصحيحين عن سليمان بن صرد قال : استبَّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس ، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضباً قد احمر وجهه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" ، فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم! قال : إني لست بمجنون" ..

وخرّج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته : "ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أفما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس من ذلك بشيء فليلزق بالأرض" *(قال الترمذي : حسن صحيح)*..

وخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" *(صححه الألباني)* .. قال ابن رجب في معنى هذا الحديث : وقد قيل إن المعنى في هذا أن القائم متهيّئ للانتقام ، والجالس دونه في ذلك ، والمضطجع أبعد عنه ، فأمره بالتباعد عنه حالة الانتقام .. وقد جاء هذا المعنى في حديث الفتن حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن المضطجع فيها خير من القاعد ، والقاعد ، فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي" *(أخرجه مسلم وأحمد ومثله عند البخاري)* قال ابن رجب : المعنى أن من كان أقرب إلى الإسراع فيها *[الفتن]* فهو شر ممن كان أبعد عن ذلك ..

وخرّج الإمام أحمد من حديث ابن عباس عن النبي قال "إذا غضب أحدكم فليسكت" قالها ثلاثا *(صححه الألباني)* ، قال ابن رجب : وهذا أيضا دواء عظيم للغضب : لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرا – من السِّباب وغيره – مما يعظم ضرره ، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه *(انتهى)* ، وماأحسن قول مورّق العجلي رحمه الله : ما امتلأت غضبا قط ، ولا تكلّمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت *(ذكره الذهبي في السير)* ..

وغضب يوما عمر بن عبدالعزيز ، فقال له ابنه عبد الملك رحمهما الله : أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضّلك به تغضب هذا الغضب ، فقال له : أو ما تغضب ياعبد الملك ؟ فقال له عبد الملك : وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر *!!*

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال "ما تعدّون الصرعة فيكم ، قلنا الذي لا تصرعه الرجال .. قال ليس ذلك : ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب" .. وعند الإمام أحمد "الصرعة كل الصرعة : الذي يغضب فيشتد غضبه ، ويحمرّ وجهه ، ويقشعرّ شعره ، فيصرع غضبه" (حسنه الألباني)
وخرّج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء" (حسنه الترمذي) ..
وعنده من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما تجرّع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى" (قال ابن ماجه : اسناده صحيح ، رجاله ثقات) ، قال الشيخ العلوان في فوائده "أن الترك يعتبر عملاً .. أن العمل من مسمى الإيمان .. أن العبد يؤجر على أفعال التروك" (انتهى) .
قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة ، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب ، فيقول : أقصر .. فوجده يوما على ذنب فقال له : أقصر.. فقال : خلّني وربّي ، أبُعثتَ عليَّ رقيبا !! فقال : والله لا يغفر الله لك – أولا يدخلك الله الجنة – فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكُنتَ بي عالما ، أو كنت على ما في يدي قادرا ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار" .. قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده : لتكلم بكلمةٍ أوبَقَتْ دنياه وآخرته . (أبو داود وصححه الألباني) .. قال ابن رجب : فهذا غضِبَ لله ، ثم تكلَّم في حال غضبه لله بما لا يجوز ، وحتَمَ على الله بما لا يعلم ، فأحبط الله عمله ، فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ، ومتابعة هواه بما لا يجوز .. (انتهى) ..
وجاء في حديث أبي سعيد الخدري – وهو حديث طويل عند الترمذي – : "ألا إن بني آدم خُلقوا على طبقات شتى ... ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وخيرهم : بطيء الغضب سريع الفيء ، ألا وشرهم : سريع الغضب بطيء الفيء" (قال الترمذي : حسن صحيح ، وضعّف الألباني بعض فقرات الحديث) ، والفيء : الرجوع عن الأمر ..

بعض ما قال أهل العلم في حديث "لا تغضب" ، وفي الغضب:

قال ابن حبان بعد أن أخرج هذا الحديث "أراد أن لا تعمل بعد الغضب شيئاً مما نُهيتَ عنه ، لا أنه نهاه عن شيء جُبل عليه ولا حيلة في دفعه" (انتهى) . وقال ابن التين "جمع صلى الله عليه وسلم في قوله "لا تغضب" خير الدنيا والآخرة لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق ، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقض ذلك من الدين" (انتهى) ..
وأخرج الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: قلت يا رسول الله أوصني. قال "لا تغضب" قال الرجل : ففكرت حين قال النبي صلى الله

عليه وسلم ما قال : فإذا الغضب يجمع الشر كله" (ورواه مالك في الموطأ عن الزهري عن حميد مرسلا .. قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح) ..

قال جعفر بن محمد "الغضب مفتاح كل شر"

وقيل لابن المبارك : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة ! قال : ترك الغضب ..

وفسّر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حسن الخلق : بترك الغضب ..

قال عطاء بن أبي رباح : ما أبكى العلماء بكاء آخر العمر من غضبة يغضبها أحدهم فيهدم عمر خمسين سنة أو ستين سنة أو سبعين سنة ، ورُبَّ غضبة قد أقحمت صاحبها مقحما ما استقاله .. (خرجه ابن أبي الدنيا)

قال ميمون بن مهران : جاء رجل إلى سلمان – رضي الله عنه – فقال : يا أبا عبدالله أوصني! قال : لا تغضب . قال : أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك !! قال : فإن غضبت فاملك لسانك ويدك .. (خرجه ابن أبي الدنيا).

قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز : قد أفلح من عُصم عن الهوى ، والغضب ، والطمع ..

وقال القائد المشهور المهلّب بن أبي صفرة : ما شيءُ أبقى للمُلْكِ من العفو ، خير مناقب المُلْك العفو ..

وعن رجاء بن حيوة : من لم يؤاخ إلا من لا عيب فيه قلَّ صديقه ، ومن لم يرض من صديقه إلا بالإخلاص له دام سخطه ، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثُر عدوّه ..

وقال عروة بن الزبير : رُبَّ كلمة ذُلٍّ احتملتها ، أورثتني عزّاً طويلا ..

قال عمران بن موسى المؤدب : قال بعض الحكماء : كما أن الأجسام تعظم في العرين يوم الضباب ، كذلك يعظم الذنب عند الغضب .. (مساوئ الأخلاق للخرائطي) ..

وقال الماوردي (في أدب الدنيا والدين) : مكتوب في التوراة : يا ابن آدم ، اذكرني حين تغضب ، أذكُرك حين أغضب ، فلا أمحقك فيمن أمحق ..

قال ابن القيم (في الفوائد) : دخل الناس النار من ثلاثة أبواب : باب شُبهة أورثَت شكّاً في دين الله ، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته ، وباب غضبٍ أورثت العدوان على خلقه ..

وجاء عن بعض الأنصار : رأس الحُمق الحدّة ، وقائده الغضب ، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم ، والحلم زيْنٌ ومنفعة ، والجهل شينٌ ومضرّة ، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه ..

قال الشافعي : من غضب فاستُرضي فلم يرض فهو حمار (ذكره في الحلية) ..

وقال أبكر بن عبد الله : لا يكون الرجل تقياً حتى يكون بطيء الطمع بطيء الغضب ..

قال عنترة :

لا يحمل الحقد من تعلوا به الرُّتبُ ...ولا ينالُ العُلا من طبعه الغضبُ
وقال الكريزي :
ولم أرى في الأعداء حين اختبرتهم ...عدوٌّ لعقل المرء أعدى من الغضبِ
وقال أبو الأسود الدؤلي :
وما غضب الإنسانِ إلا حماقة ... إذا كان فيما ليس لله يغضبُ
وقال العرجي :وإذا غضِبتَ فكن وقوراً كاظماً ...للغيظِ تُبصر ما تقول وتسمعُ
فكفى به شرفاً تصبُّرُ ساعةٍ ... يرضى بها عنك الإله وتُرفعُ
قال ثعلب :متى تُردِ الشفاء بكلِّ غيظٍ ... تكُن مما يُغيظك في ازديادِ
وقال صلاح الدين الصفدي :وإن بُليتَ بشخصٍ لا خَلاق له ... فكُنْ كأَنَّكَ لم تسمع ولم يَقُلِ

قال الحسن *[لعله البصري]* : أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرمه على النار : من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب (انتهى) .. قال ابن رجب الحنبلي : فهذه الأربع التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشر كله ... والغضب هو غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عنه

خشية وقوعه ، أو طلباً للإنتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه ، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرّمة : كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان وكثير من الأقوال المحرمة : كالقذف والسب والفحش ، وربما ارتقى إلى درجة الكفر كما جرى لجبلة بن الأيهم ، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعا ، وكطلاق الزوجة الذي يعقب الندم ... ، والواجب على المؤمن ... أن يكون غضبه دفعا للأذى في الدين له أو لغيره ، وانتقاما ممن عصى الله ورسوله كما قال تعالى {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم} *(التوبة 14-15)* ، وهذه كانت حال النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان لا ينتقم لنفسه ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء ، ولم يضرب بيده خادما ولا امرأة إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وخدمه أنس عشر سنين فما قال له أف قط ، ولا قال له لشيء فعله : لم فعلت كذا ؟ ولا لشيء لم يفعله ألا فعلت كذا ؟ ...

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت "كان خلقه القرآن" *(مسلم)* ، يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه : فما مدحه القرآن كان فيه رضاه ، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه ، وجاء في رواية عنها ، قالت "كان خلقه القرآن : يرضى لرضاه ويسخط لسخطه" ، وكان صلى الله عليه وسلم لشدة حيائه لا يواجه أحدا بما يكره ، بل تعرف الكراهة في وجهه كما في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ، قال "كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه" *(البخاري ومسلم)* ، ولما بلغه ابن مسعود قول القائل "هذه قسمة ما أريد بها وجه الله" شق عليه صلى الله

عليه وسلم وتغير وجهه وغضب ولم يزد على أن قال "لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر" (البخاري ومسلم) ..(انتهى كلام ابن رجب مختصراً) ..
كان عليه الصلاة والسلام هيّناً ليّناً سهلاً ، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بذلك ويقول "حُرِّم على النار كلّ هيّن ليّن سهل قريب من الناس" (أحمد وصححه الألباني) ، وكان يقول "إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله" (البخاري) ، وقد قال تعالى مثنياً على أهل الرفق {... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران : 134) ، وقال تعالى مثنياً على نبيه صلى الله عليه وسلم {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم : 4) ، ومن خلقه الظاهر الذي منَّ الله به عليه قوله تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...} (آل عمران : 159) ، وقال تعالى {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى : 37) ..
ومما ذكر الله تعالى في كتابه من قواعد في التعامل مع الفتن ، قوله تعالى في سورة الحجرات {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَتَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} (الحجرات : 9-12) ..
إذاكان في قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تغضب" كل الفوائد الآنفة وأكثر بكثير ، فكيف بهذه الآيات لمن تدبرها وعقل ما فيها من كنوز ودرر وعلم وفقه وأدب !! هذه الآيات فيها من العلم والحكمة ما لا يستطيع حصره إلا الله ، ولو قرأ الإنسان هذه الآيات ألف مرة لوجد فائدة في كل مرّة ، وإنما تنتهي الفوائد حين تخلوا جعبته..
فمن فوائدها :
1- أنه قد يحصل اقتتال بين المؤمنين ويبقون على إيمانهم.
2- أن الإصلاح هو الأصل في أي اقتتال أو خلاف بين المسلمين.
3- أنه قد تبغي فئة مؤمنة على أخرى مؤمنة.
4- أن الواجب ردع الفئة الباغية إن لم تستجب إلى صوت الحق.
5- أن الحد الذي ينتهي عنده الردع هو : التوبة والإنابة إلى الله والخضوع لأمره.
6- أن الصلح بالعدل والقسط أساس الحكم بين الطوائف المتنازعة.
7- أن الأصل في علاقة المؤمنين الأخوّة.
8- أن أصل الأخوة لا تنتفي بالتنازع والاقتتال.
9- أن من طُرق حصول التقوى واستحقاق الرحمة : الإصلاح بين المسلمين.

10- أن الله نهى عن السخرية واللمز.
11- ونهى عن التنابز بالألقاب وشدد في النهي.
12- وأمر من فعله بالتوبة.
13- وأخبر بأن المصرّ على ذلك هو الظالم .
14- ونهى الله عن كثير من الظن.
15- ويؤخذ منه بأن أصل العلاقة بين المسلمين هو حسن الظن.
16- ونهى عن التجسس على المسلمين.
17- ونهى عن الغيبة وشبّهها بأكل لحم المسلم الميّت.
18- ثم أمر بأن يُتّقى بإتيان ما أمر وترك ما نهى.
19- ثم أخبر بأنه يتوب على من تاب ممن أتى بمثل هذا ويرحم سبحانه وتعالى ..

قال تعالى مُخبراً المؤمنين بفضل الإصلاح {لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً} *(النساء : 114)* ، ولكن ، من يقوم بهذا الإصلاح ؟ إنهم المبتغون مرضاة الله من العقلاء والعلماء والحكماء ، فهؤلاء هم أهل الإصلاح بين الناس ، والغضبان من أشد الناس بعداً عن العقل والحكمة ، ولذلك جاء في الحديث الصحيح "لا يقضي القاضي وهو غضبان" *(متفق عليه)* ، وفي لفظ عند النسائي "لا يقضي أحد بين خصمين وهو غضبان" *(صححه الألباني)* ، وفي لفظ عند ابن ماجه "لا يحكم أحدبين اثنين وهو غضبان" *(صححه الألباني)* ، فالغضب مظنة الزلل وغياب العقل ، فلا يصلح الغضبان للحكم بين الناس ، قال الشيخ العلوان في فوائد حديث "لاتغضب" *:* "فيه أن الغضب يمنع العدل في القول والعمل" ، وقال "فيه أن الذي لا يغضب منضبط الأفعال والأقوال حال رضاه وغضبه" ، وقال "فيه أنعدم الغضب دليل على وفور العقل وكماله" ..

وليُعلَم بأنه ليس كل غضب يكون مذموماً ، فهناك من الغضب ما هو محمود ، بل واجب ، وهناك من المواقف ما لا يجوز فيها الحلم والصفح ، بل يجب الردع والأخذ على يد المسيء ، وقد ذكر الغزالي رحمه الله *(في إحياء علوم الدين)* ثلاث درجات للغضب ، ننقلها باختصار ، قال *:*"إن الناس في هذه القوة *[الغضب]* على درجات ثلاثة في أول الفطرة *:* من التفريط والإفراط والاعتدال *:*

أما التفريط *:* فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له . ولذلك قال الشافعي رحمه الله *:* من استغضب فلم يغضب فهو حمار ..فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً ، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال {أشداء على الكفار رحماء بينهم} وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم {جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم} الآية ، وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب ...

وأما الإفراط: فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار ، بل يصير في صورة المضطر ...ومتى اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمّته عن كل موعظة ، فإذا وُعظ لم يسمع ، بل زاده

ذلك غضباً ، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب ... وأما أثرة في القلب مع المغضوب عليه : فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات ، والحزن بالسرور ، والعزم على إفشاء السر ، وهتك الستر ، والاستهزاء ، وغير ذلك من القبائح ، فهذه ثمرة الغضب المفرط .
ففقد الغضب مذموم [والإفراط فيه مذموم] وإنما **المحمود** : غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية ، وينطفئ حيث يحسن الحلم ، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده ، وهو الوسط ...فمن مال غضبه إلى الفتور ، حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غر محله ، فينبغي أن يعالج نفسه ، حتى يقوى غضبه . ومن مال غضبه إلى الإفراط ، حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش ، فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم ، وهو أرق من الشعرة وأدق من السيف ، فإن عجز عنه ، فليطلب القرب منه ... .مابقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً ، فلا يخلو من الغيظ والغضب ، وما دامي وافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب مايوافقه ويكره ما يخالفه ، والغضب يتبع ذلك : فإنه متى أُخذ منه محبوبه غضب لا محالة ، وإذا قُصد بمكروه غضب لا محالة .... لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلّف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خُلقاً راسخا ، فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع ، وهو غير ممكن .. نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لايظهر أثره في الوجه ، ولكن ذلك شديد جداً .(انتهى مُختصراً من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله) فهذا كلام نفيس جليل قل نظيره وكثرت فوائده ..
قال الشيخ العلوان في فوائده : "أن الغضب : منه المحمود ومنه المذموم" ،وذكر من فوائد الحديث : "عِظم فقه الصحابة حيث لم يفهموا العموم من هذا الخبربل غضبوا الغضب المحمود ، وتركوا المذموم ، على ما علّمهم الرسول صلى الله عليه وسلم" .
لقد غضب الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام ، وهم خيرة البشر ، وغضبهم كان كله لله ، فها هو موسى عليه السلام يغضب لما رجع ورأى قومه يعبدون العجل {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ...} ، وغضب ذو النون على قومه لما لم يؤمنوا به {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ...} ، وغضب نوح على الكفار فدعى الله أن لا يُبقي منهم على الأرض أحدا {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} ، وكان نبينا عليه وعلى أنبياء الله الصلاة والسلام يغضب : فغضب حين أُخبر بأن صحابياً فضّله على موسى (البخاري ومسلم) ، وسُئل عن ضالة الإبل فغضِب (البخاري) ، وغضب حين أُخبر بإمام يُطيل الصلاة (البخاري ومسلم) ، وغضب على عوف بن مالك في قصة السلب التي مع خالد بن الوليد (مسلم) ، وتردد الصحابة في أمر أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم به في الحج فغضب (البخاري ومسلم) ، وغضب على عمر لما خاصم أبا بكر (البخاري) ، وغضب لما أراد أسامة بن

زيد أن يشفع في المخزومية التي سرقت (متفق عليه) ، وغضب حين رأى نخامة تجاه القبلة (متفق عليه) ، وغضب لما رأى ستارة وضعتها عائشة فيها صور (متفق عليه) ، وغضب حين أراد بعضهم أن يعمل من الأعمال فوق ما يطيق (البخاري) ، وغضب مرّة لما أكثر الصحابة عليه السؤال (البخاري) ، وغضب لما تنحنح بعضهم ورفع صوته وحصبوا بابه (البخاري) وتبسَّم تبسُّم المُغضَب في وجه كعب بن مالك في قصة المخلّفين (البخاري) وغضب على الكفار فدعى عليهم في أكثر من موضع ، وهناك أمثلة أخرى ، وكان عليه الصلاة والسلام اذا غضب احمرّ وجهه (البخاري) بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ..

إن الأنبياء بشر يغضبون كما يغضب البشر ، وغضبهم كان في حق الله ، وغِيرَة على دينه وحرماته إذا انتهكت ، ولكن الأنبياء كانوا يملكون غضبهم ولا يفعلون أو يقولون إلا حقاً ، وهم قدوة البشرية وصفوة الخلق ..

عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق .(ابو داود وصححه الألباني) ، قال الغزالي في الإحياء : فلم يقل إني لا أغضب ، ولكن قال : إن الغضب لا يخرجني عن الحق ، أي لا أعمل بموجب الغضب.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم "لم يكن فاحشاً ولامتفحّشاً ، ولا صخَّاباً في الأسواق ، ولا يجزئ بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح" (الترمذي وقال : حسن صحيح) وعن عائشة رضي الله عنها قالت "ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظُلِمَها قط ما لم يُنتهك من محارم الله شيء ، فإذا انتُهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً ، وما خيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً" (البخاري) . وعنها رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها "يا عائشة ، إن من شرّ الناس من تركه الناس – أو ودعه الناس – اتقاء فُحشه" (البخاري) .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله غضب لذلك وقال فيه ولم يسكت ، وقد دخل بيت عائشة رضي الله عنها فرأى ستراً فيه تصاوير فتلوّن وجهه وهتَكه وقال "إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصوّرون هذه الصور" (البخاري ومسلم) ، ولما شُكي إليه الإمام الذي يطيل بالناس صلاته حتى يتأخر بعضهم عن الصلاة معه غضب واشتد غضبه ووعظ الناس وأمر بالتخفيف (البخاري ومسلم) .. ولما رأى النخامة في قبلة المسجد تغيظ وحكّها وقال "إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة" (البخاري ومسلم) ..

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم "أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا" (أخرجه الترمذي وأحمد ، وابن خزيمة في التوحيد – وزاد "والعدل" – وصححه) ، قال ابن رجب : وهذا عزيز

جدا : وهو أن الإنسان لا يقول سوى الحق سواء غضب أو رضي ، فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول ..

إن المتأمل في قوله تعالى {... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران : 134) لَيرى عظمة الشريعة في التعامل مع الطبيعة الغريزية في النفس الإنسانية ، فالنص لم يتوقّف عند مجرّد كظم الغيض وإخفائه وكتمه ، بل تعداه إلى عمل يمحو أثره : فكان العفو عن المسيء ، ثم تأتي العظمة ويأتي الإختبار الحقيقي لصوت العقل والحكمة ، وهذا الإختبار قلّما ينجح فيه إنسان ، وهو : الإحسان إلى المُسيئ !! لا مجرّد العفو !! تخيّل منظر هذا المسيء إليك والمُخطئ في حقّك ، ثم تخيّل أنّك تُحسن إليه وأنت كظمتَ غيظك للتوّ!!

ذِكر بعض ما جاء عن السلف في كظم الغيظ ، والعفو والحلم :

شتم أحدهم سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال سلمان : إن خفَّت موازيني فأنا شر مما تقول ، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول .. كان همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم.

وشُتم الربيع بن خيثم فقال : يا هذا قد سمع الله كلامك ، وإن دون الجنة عقبة : إن قطعتها لم يضرني ما تقول ، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول ..

وسبَّ رجلٌ صدّيق الأمة أبابكر رضي الله عنه فقال : ما ستر الله عنك أكثر .. قال الغزالي (في الإحياء) : فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ، ويعرفه حق معرفته ، فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان : إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان ، وذلك لجلالة قدره . (انتهى) ..

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي ؟! فقال: ما عرفني غيرك ! قال الغزالي : فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ، ومنكراً على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه ، فلم يغضب لما نسب إليه.

وسب رجل الشعبي فقال : إن كنتَ صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك. وروى الذهبي مثل هذا في السير عن الحسن بن الحسن، وعلي بن الحسين ، فقد كان بينهما شيء ، فما ترك الحسن شيئاً إلا قاله ، وعليّ ساكت حتى انصرف ، ثم لما كان بالليل اتاه عليّ فخرج ، فقال علي : يا ابن عمي : إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك ، السلام عليكم .. فالتزمه الحسن وبكى حتى رَثى له ..

وكان الأحنف بن قيس مشهوراً بالحلم والعقل والحكمة ، ومما روي أن رجلاً قال له : لإن قلتَ واحدةً لتسمعنَّ عشرا ، فقال الأحنف : لكنّك إن قلت عشراً لن تسمع واحدة ..

ومن غريب الصفح وعجيبه ما جاء في قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة النور ، فقد قال تعالى {وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور : 22) ، قال ابن كثير رحمه الله "وهذه الآية نزلت في الصدّيق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال ، كما تقدم في الحديث ، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين

عائشة ، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه : شرع تبارك وتعالى – وله الفضل والمنة – يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة ، فإنه كان ابن خالة الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد ولق ولقةً تاب الله عليه منها وضُرب الحد عليها ، وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف ، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب ، فلما نزلت هذه الآيَة إلى قوله {ألا تحبون أن يغفر الله لكم} الآية ، فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك ، وكما تصفح نصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً ، في مقابلة ما كان ، قال : والله لا أنفعه بنافعة أبداً .
فلهذا كان الصدّيق هو الصدّيق رضي الله عنه وعن بنته (انتهى).

إن كظم الغيظ والحلم والأناة من صفات الأنبياء والصدّيقين والعقلاء ، وهي خصال يحبها الله سبحانه وتعالى في عباده ، وقد يجبل الله تعالى بعض خلقه على الحلم فتكون فيهم خِلقة ، وقد يكون من العقلاء من هو سريع الغضب فيُعمل عقله على ترويض نفسه حتى يصير حليما ، ومن لا يستطيع معالجة هذا الداء في نفسه فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدواء في أكثر من موضع ..

بقي الإشارة إلى أمر غاية في الأهمية ، وهي : اعتقاد الإنسان في حالة من الأحوال أنه يغضب لله تعالى ، وقد يكون كذلك في لحظاته الأولى ثم ما يلبث الشيطان أن يحرفه عن قصده إلى حظ النفس حتى يحدث بينه وبين إخوانه من النفرة والخصومة ما لم يكن في الحسبان ، فالشيطان يلعب بالإنسان في حالة الغضب كما يلعب بالكرة الصبيان ، وعلامة انحراف القصد : سوء اللفظ أو الفعل وميلان القلب إلى بغض الخصم لذاته ..

لايمكن أن يكون منتصراً لله تعالى من يعصيه في القول والعمل ، فتجده يسب ويشتم ويلعن ويسيء الظن بالمسلمين ، وربما بطش بيده وأبغض إخوانه بقلبه وهو المأمور بالرفق بهم واللين وخفض الجناح والمحبة والرحمة !! فلا يكون منتصراً لله من يعصي الله في المسلمين..

نسأل الله أن يرزقنا الحلم والأناة والتقوى والإنابة ..

والله أعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

كتبه

حسين بن محمود

10جمادى الآخرة 1434هـ